IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJIS
Vol 0, No 0, 0000, pp 000 -000

Received on (09-08-2023) Accepted on (13-09-2023)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.32.2/2024/2

Explanation of The First Seven Ayats of Surat Al Fath
(A Comparative study between: Imam Al Tabari and Sayyed Qutub)

Abdel Nasser Ahmed Jasser[*1], Prof. Dr. Riyad Mahmoud Qassem[*1]
Palestine Pharmacists Syndicate, Southern Governorates[*1], Islamic University of Gaza[*12]
[*]Corresponding Author: rqasem@iugaza.edu.ps

Abstract:

This study aims to show the roll of explanation in understanding the meaning of Al Quran and to highlight the importance of comparative explanation. The researchers choose Surat Al Fath (1-7) as a model between Imam Tabari and Sayyed Qutub as a comparative study.

The study proved that the comparative explanation has a great roll in understanding the meaning of Quran and enriching it and providing the method of the explainer.

The most important recommendation of this study is to promote such studies and continue in this regard and apply it on other parts of Quran and to include other explainers.

Keywords: explanation comparative Tabari Qutub.

تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح
(دراسة مقارنة بين: الإمام الطبري وسيد قطب)

عبد الناصر أحمد جاسر [1]، أ.د. رياض محمود قاسم [2]
نقابة صيادلة فلسطين، المحافظات الجنوبية [1]، الجامعة الإسلامية-غزة [1,2]

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار دور التفسير في فهم معاني القرآن، وتسليط الضوء على أهمية التفسير المقارن ودوره في بيان مقاصد الآيات، وإثراء المعنى التفسيري، وقد اختار الباحثان نموذجا لهذه الغاية من خلال المقارنة بين تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب للآيات 1-7 من سورة الفتح.

ويرى الباحثان أن هذه الدراسة قد خلصت إلى أن التفسير المقارن له دور فعال في فهم أوسع لمعاني الآيات ومقاصد السور، وإثراء المعنى التفسيري، وإبراز منهج المفسر. وقد أظهرت الدراسة منهج الإمام الطبري في التفسير بالنقل، بينما أظهرت التفسير بالعقل عند سيد قطب، وخاصة أنه عايش القرآن الكريم متأملاً مبدعاً فترة طويلة، فانعكست هذه المعايشة على تفسيره.

من أهم توصيات الدراسة: تعزيز إجراء المزيد من الدراسات في هذا المجال على أن يشمل مفسرين آخرين، وعلى أن تشمل آيات وسور أخرى.

كلمات مفتاحية: التفسير، المقارن، الطبري، قطب.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله

ولا يخفى على كل ذي لبٍّ ما لدراسة التفسير والعربية وأساليبها من أثرٍ بالغٍ في فهم كتاب الله تبارك وتعالى، مصداقا لقوله: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [محمد24]، حتى غدا تعلمها واجبًا وفرضًا من فروض الدين.

ولهذا جاءت دراستي خادمةً لكتاب الله تعالى، مبينةً وكاشفةً عن معانيه، من خلال دراسة تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح، دراسة تفسيرية مقارنة بين الإمام الطبري وسيد قطب، وتعد هذه الدراسة دراسةً تحليليةً تفسيريةً مقارنة، وقد وسمتها بعنوان:

تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح
(دراسة مقارنة بين: الإمام الطبري وسيد قطب)

أولًا: أهمية الدراسة:

1. أن شرف هذا العلم من شرف معلومه، ألا وهو كتاب الله ϕ، ثم الرغبة في تدبر آيات القرآن الكريم وخاصة سورة الفتح.
2. إبراز أهمية التفسير ودور التفسير المقارن في إثراء المعنى، وصلته الوثيقة بقواعد اللغة والنحو، وفهم مراد الله في حدود القدرة البشرية.
3. لسورة الفتح أهمية تظهر بين الحين والآخر في أمورنا الحياتية، ولها أثر كبير في تعزيز الجماعة المؤمنة وقوتها، حيت بشرت بالفتح وانتشار الإسلام.
4. سورة الفتح تدفع المؤمن لتغليب الأمل مها كبر الألم واشتدت المعاناة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

1. الوقوف على مقاصد آيات سورة الفتح من خلال تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب.
2. بيان مدى حاجة المسلمين لفهم وتدبر معاني القرآن الكريم، وذلك من خلال مناهج تفسيرية مختلفة.

ثالثا: أهداف الدراسة:

1. إبراز المنهج الذي اعتمده كل من الإمام الطبري وسيد قطب، والوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.
2. إظهار أهمية ومكانة التفسير المقارن في فهم آيات القرآن.
3. إبراز مقاصد وأهداف سورة الفتح.
4. الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين الإمام الطبري وسيد قطب في تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث عن دراسات تحمل نفس العنوان أو ما يشبهه، لم يقف الباحث على شيء من هذا القبيل، ولكن هناك دراسات عديدة تتناول سورة الفتح بصفة خاصة، غير التي سلكها الباحث، وأذكر منها:

1. رسالة ماجستير بعنوان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني والخمسين من القرآن الكريم، سورة (الفتح، الحجرات، ق، الذاريات)، للباحث: نصر رشيد سمير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية–غزة، اشراف أ. د. عصام العبد زهد.
2. رسالة ماجستير بعنوان: سورة الفتح: دراسة تحليلية موضوعية، للباحثة: رحمة فرج حمو، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية–غزة، اشراف أ. د. صبحي رشيد اليازجي.

وبحدود اطلاعي وقراءتي لم أجد دراسة تحمل نفس العنوان الذي اعتمده الباحث، فقد جاءت هذه الدراسة؛ لاستقراء وتحليل تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح عند الإمام الطبري وسيد قطب، والوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما وبيان

الرأي الراجح، ولئن تشابهت هذه الدراسة مع غيرها في الموضوع العام أو اسم السورة، إلا أنها تختلف في الجوهر والمضمون؛ فهي دراسة مقارنة بين منهجين تفسيريين مختلفين مع الترجيح.

خامسًا: حدود الدراسة:

1. استقراء تفسير سورة الفتح (الآيات 1-7) عند الإمام الطبري وسيد قطب.
2. المقارنة بين تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب مع بيان أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما.

سادسًا: خطة الدراسة:

تحقيقًا للأهداف السابقة؛ فقد اشتملت الخطة على مقدمة، وقسم نظري، وقسم تطبيقي، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الدراسة، أسباب اختيارها، أهدافها، الدراسات السابقة، حدود الدراسة، وخطة الدراسة.

القسم النظري للدراسة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي سورة الفتح:

المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمن نزول السورة ومناسبتها.

المطلب الثالث: أهداف السورة ومقاصدها ومحورها الرئيس.

المبحث الثاني: الإمام الطبري، حياته ومنهجه في التفسير:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياة الإمام الطبري.

المطلب الثاني: منهج الإمام الطبري في التفسير.

المطلب الثالث: رأي العلماء في تفسير الإمام الطبري.

المبحث الثالث: سيد قطب، حياته ومنهجه في التفسير:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياة سيد قطب.

المطلب الثاني: منهج سيد قطب في التفسير.

المطلب الثالث: رأي العلماء في تفسير سيد قطب.

القسم التطبيقي للدراسة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفتح المبين والمغفرة للنبي محمد ﷺ، الآيات (1-3):

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري.

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب.

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب.

المبحث الثاني: جزاء المؤمنين، الآيات (4-5):

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري.

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب.

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب.

المبحث الثالث: جزاء الكافرين، الآيات (6-7):

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري.

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب.

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسيري الإمام الطبري وسيد قطب.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

القسم النظري للدراسة

المبحث الأول

بين يدي سورة الفتح

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها:

سورةُ الفتح، هذا ما عُرفت به في جميع المصاحف وكتب السنة، ولم يُعرف لها اسمٌ غيره، ووجه تسميتها بهذا الاسم أنها تضمنت قصة فتح مكة[1]، وورد هذا الاسم في حديث عبد الله بن مغفل η، حيث قال: (رأيت رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع)[2]، وهي السّورة الثامنة والأربعون بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد سورة الجمعة، في الطريق بين مكة والمدينة، عند الانصراف من الحديبية، وهي مدنيّة في قول الجميع، وعدد آياتها تسع وعشرون آية، في عدِّ الجميع بلا خلاف في شيء منها[3].

المطلب الثاني: فضلها وسبب نزولها:

ورد في فضل سورة الفتح أحاديث صحيحة، فقد روى زيد بن أسلم[4]، عن أبيه، أن رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم- كان يسير في بعض أسفاره أي منصرفه من الحديبية ليلا وعمر بن الخطاب يسير معه، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال: عمر ثكلت أم عمر نزرت رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم- ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري وتقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم- فسلمت عليه، فقال: (لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس)، ثم قرأ: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}** [الفتح 1][5]. وقد ورد في سبب نزولها أحاديث صحيحة، والأحاديث الواردة في نزولها تتحدث عن السورة بأكملها، لا عن آيةٍ واحدة فقط[6]، نذكر منها ما في صحيح

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 141/26.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابٌ: أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ يَوْمَ الفَتْحِ؟ 147/05، رقم الحديث 4281،

(3) انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، شرف الدين، 193/8، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي، ص 308.

(4) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 316/5.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، 135/06، حديث رقم 4833.

(6) انظر: المحور في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، المزيني، 896/2.

مسلم، من حديث سهل بن حنيف[1]، والذي جاء في آخره: (... فنزل القرآن على رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: "نعم"، فطابت نفسه ورجع)[2].

المطلب الثالث: محور السورة وأهم مقاصدها:

محور سورة الفتح الرئيس هو بيان الفتح العظيم الذي كان في صلح الحديبية، مع ما ترتب على ذلك من أحكام وآثار[3]، وشأنها شأن أخواتها من السور المدنية، فهي معنية بأحكام التشريع، لا سيما في المعاملات والعبادات والأخلاق والتوجيه، وجاءت أيضًا تبيّن كيف ينزل الله سبحانه وتعالى نصره على رسله والمؤمنين، وتوضح خصائص المؤمنين المنصورين، وتتحدث عن فتح مكة، وعقبت على الأحداث التي جرت مع المسلمين[4]، ومن أهم مقاصدها:

- مقصودها الأكبر هو ذكر الوعد الإلهي والبشارة بالفتح والتمكين لنبيِّه وللمؤمنين الصادقين في نصرة الدين، وإنزال السكينة على المؤمنين، وبشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية وأنه نصر وفتح قريب.
- وعيد المنافقين بالعذاب، ووعد المؤمنين بالنعيم.
- ذكر بيعة الرضوان، ورضوانه على المؤمنين، والثناء على المؤمنين الذين عزروه وبايعوه، وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل.
- المنَّة على الصّحابة بعدم الظفر عليهم من أَهل مكة ذوي الطغيان، وتصديق الوحي لرؤيا سيّد المرسلين.
- وعد النبي– صَلَّى الله عليه وسلم– بفتح آخر، يعقبه فتح أعظم منه، وهو فتح مكة[5].

المبحـــث الـثاني
الإمام الطبري: حياته ومنهجه في التفسير

المطلب الأول: حياة الإمام الطبري:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الشهير بالإمام أبي جعفر الطَّبَرِي[6]، ولد سنة 224هـ بمدينة آمُل[7] عاصمة إقليم طبرستان[8]، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته، وتفرس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم فتولى العناية به ووجَّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، وكان والده رأى رؤيا تفاءل بها خيرًا. فقد رأى أن ابنه واقف بين يدي الرسول ومعه

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 325/2.
(2) صحيح مسلم، مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ، 1411/03، حديث رقم: 1785.
(3) انظر: التفسير الهادي للتحليلي والاجمالي، ا. د. عبد السلام اللوح، 158/26.
(4) انظر: الأساس في التفسير، حوّى، 5339/9.
(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 142/26، المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ص 511، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، 432/1.
(6) البداية والنهاية، ابن كثير (11).
(7) آمل أكبر مدينة بطبرستان (ولاية من ولايات إيران القديمة) وتنسب إليها السجادات الطبرية، وقد خرج منها كثير من العلماء منهم أبو جعفر الطبري، ينظر: معجم البلدان، الحموي (85/1).
(8) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، الحموي (6/ 2445). وطبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، ينظر: معجم البلدان، الحموي (13/4) وما بعدها.

مخلاة مملوءة بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله ﷺ، وقصَّ الأب على مُعَبِّرٍ رؤياه فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعة ربه، ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزًا له على طلب العلم والجد والاجتهاد فيه والاستزادة من معينه، والانكباب على تحصيله ثم العمل به، والتأليف فيه؛ ليدافع عن الحق والدين[1]، وظهرت على الطبري منذ طفولته سمات النبوغ الفكري، وبدت عليه مخايل التفتح الحاد والذكاء الخارق والعقل المتقد، والملكات الممتازة، وأدرك والده ذلك فعمل على تنميتها؛ فوجَّهه إلى العلماء، وقال عن نفسه: "حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة" وتوفي الطبري سنة 310هـ، عن عمر يناهز ستة وثمانين عاماً[2].

المطلب الثاني: مكانة تفسيره:

لقد عُدَّ تفسيره (الجامع) المرجع الأول والأساس الأول للتفسير بالمأثور، وقد أجمع العلماء على عظيم قيمة هذا التفسير، وأنه لا غنى عنه لطالب العلم عموماً، وطالب التفسير على وجه الخصوص؛ وذكر النووي أن الأمة أجمعت على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري، وذكر ابن تيمية أن تفسير الطبري أصح التفاسير التي بين أيدي الناس، ويحتوي تفسيره على ثلاثين جزء، وقد كان محط اعتبار عند المتقدمين، وكان كذلك عمدة عند المتأخرين من أهل العلم عموماً والتفسير خصوصاً؛ فهو مرجع الأولين، وهو ملاذ الآخرين في موضوع التفسير[3]، وكان لهذا التفسير أوَّليَّة زمانية فقد كان له كذلك أوَّليَّة موضوعية، فهو لم يقتصر على لون واحد من التفسير، بل اشتمل على ألوان من التفسير، رفعت من شأنه، وجعلت له تلك المنزلة عند العلماء؛ فالطبري –على الرغم من اعتماده على التفسير بالمأثور أساساً– جمع إلى جانب الرواية جانب الدراية، واعتنى بالقراءات القرآنية، وكان له اعتناء بعرض وجوه اللغة، فضلا عن آرائه الفقهية واجتهاداته التي أودعها كتابه المذكور[4].

المطلب الثالث: منهج الإمام الطبري في التفسير:

1. يعتمد أساساً على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– أو صحابته الكرام، أو التابعين، وهو لا يكتفي بذلك، بل نجده يشدد النكير على من يفسر القرآن بمجرد الرأي فحسب، ولا يُفهم من هذا النهج أن الطبري لم يكن يُعمل الرأي في تفسيره، بل الواقع خلاف ذلك، إذ إننا كثيرًا ما نجده يُرجِّح أو يصوب أو يوجِّه قولاً لدليل معتبر لديه.

2. كان يقف من السند موقف الناقد البصير، والعالمِ النحرير، الذي لا يقبل الرواية إلا بعد تمحيص وتدقيق.

3. ثم إنه كان يقدر إجماع الأمة، ويعطيه اعتباراً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه ويرتضيه.

4. أما منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية فيقوم على رد القراءات التي لم ترد عن أئمة القراءات المشهود لهم، أما القراءات الثابتة فكان له اختيار فيها؛ فهو أحياناً يرفض بعضها لمخالفتها الإجماع، وأحياناً أخرى يختار قراءة على أخرى لوجه يراه، ويكتفي أحياناً بالتسوية بين تلك القراءات دون ترجيح.

5. ومن منهجه كذلك أنه لم يكن يعتني بتفسير ما لا فائدة في معرفته، وما لا يترتب عليه عمل؛ كمعرفة أسماء أصحاب الكهف، ومعرفة نوع الطعام في المائدة التي نزلت على رسول الله عيسى عليه السلام ونحو ذلك.

6. وكان الطبري يحتكم كثيراً في تفسيره عند الترجيح والاختيار إلى المعروف من كلام العرب، ويعتمد على أشعارهم، ويرجع إلى مذاهبهم النحوية واللغوية.

7. وقد كان الطبري صاحب مذهب فقهي، وهذا واضح في "تفسيره"، فنحن كثيراً ما نراه يعرض لآيات الأحكام ويناقشها ويعالجها، ثم يختار من الأحكام الفقهية ما يراه الأقوى دليلاً والأوجه تعليلاً.

---

[1] انظر: معجم الأدباء، الحموي (49/18)، الإمام الطبري، الزحيلي (ص:31).

[2] انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (197/3)، ومعجم الأدباء، الحموي (7331/3).

[3] انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، 207/01–209، تهذيب الأسماء واللغات، النووي 78/01.

[4] انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الخالدي، ص 24–26.

8. وكان من منهج الطبري أيضاً تعرضه لكثير من مسائل علم الكلام والعقيدة، والرد على كل من خالف فيها ما عليه أهل السنة والجماعة، وكان هذا النهج واضحًا لديه في رده على كثير من آراء المعتزلة ومن شابههم.
9. وأخيراً نَلْمَحُ الطبري يسوق في تفسيره أخباراً من القصص الإسرائيلي، ومن ثَمَّ يتعقَّبها بالنقد والتمحيص؛ لكن –وعلى الرغم من ذلك– فاته بعض المرويات التي لا تزال تحتاج إلى النقد الفاحص، والتمحيص الناقد[1].

المبحث الثالث

سيد قطب: حياته ومنهجه في التفسير

المطلب الأول: حياة سيد قطب:

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي[2]، ولد في قرية موشية إحدى قرى محافظة أسيوط، في صعيد مصر، في التاسع من أكتوبر، عام ألف وتسعمائة وسته[3]، وتميزت قريته بمناظر خلابة، وتمثلت فيها أروع مشاهد الطبيعة وأجملها، وتقع هذه القرية في منطقة خصبة من وادي النيل بين جبلين، ووسط هذه الطبيعة الجميلة فتح سيد قطب عينيه، فارتسمت في ذهنه هذه الصورة الساحرة[4]، والده هو الحاج قطب إبراهيم، وكانت صلة والده بخالقه قوية، فكان محافظا على الصلاة، وكثير التصدق، والإنفاق على الفقراء والمساكين، وكان كريما على ضيفه، يقيم الموائد والولائم في بيته[5]، فكان سيد الطفل يرى كل هذه المظاهر والعادات الاجتماعية والدينية فيتأثر بها وتنطبع في ذاكرته، ولم تكن والدته أقل تدينا واستقامة وتقوى من والده، فقد كانت حريصة على صلواتها وعباداتها، وكانت كثيرا ما تستمع لقراءة القرآن في البيت ومن شدة تأثر سيد بوالدته وتدينها فقد أهداها أول كتاب إسلامي ألفه، وهو (التصوير الفني في القرآن)، وقد توفيت أمه بعدما استقرت معه في القاهرة، وكانت وفاتها عام ألف وتسعمائة وأربعين، وعاش سيد قطب حياته ولم يتزوج[6].

المطلب الثاني: تعريف عام بتفسير (في ظلال القرآن):

أطلق سيد قطب اسم (في ظلال القرآن) على تفسيره، ويقول في مقدمته: "فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل القرآن فترة، أستروح فيها ما لا أستروحه في ظل سواه"[7]. إذن، إطلاق هذا الاسم على تفسيره ليس فلتة لسان عابرة، ولا مصادفة موافقة، وإنما له غاية ظاهرة معبرة عن خبراته وشعوره، وكأنه يرى القرآن كائنا حيا، يؤانسه ويعاطفه ويصادقه، كما يؤنس الصديق صديقه ويعاطفه[8].

وذكر سيد قطب في مقدمة تفسيره خواطره وانطباعاته في فترة حياته في ظلال القرآن، لكنه لم يذكر بعض المعارف الضرورية المتعلقة بالقرآن الكريم كما سلك جمهور المفسرين السابقين كالإمام الطبري[9]، وابن كثير[10]، وابن جزي الغرناطي[11]،

---

[1] التفسير والمفسرون، الذهبي (151/1).
(1) سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، ص 15.
(2) سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهدة والمفكر المفسر الرائد،، صلاح الخالدي، ص 26.
(3) في ظلال سيد قطب، وصفي أبو زيد، ص 18.
(4) التصوير الفني في شعر سيد قطب، حنان غنيم، رسالة ماجستير، ص 8.
(5) انظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، ص 33.
(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/1.
(7) انظر: مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح الخالدي، ص 83.
(8) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 08/01.
(9) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 07/01.
(10) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي، 12/01.

والمراغي[1]، وغيرهم من تعريف القرآن الكريم، ولغته وإعجازه، ونزوله والناسخ والمنسوخ، والمدني والمكي، وغير ذلك.

وبعد المقدمة يبدأ سيد قطب بتفسير القرآن حسب ترتيب المصحف، ويبدأ بمقدمة رائعة للسورة في أولها، ويستعرض فيها مقاصدها، ويحلل موضوعاتها على إجمالها، وغالبا ما يكون في مقدمته ذا نفس طويل، وهذه المقدمة لا يكاد الإنسان ينتهي من قراءتها إلا وقد تكونت لديه فكرة تامة عن أبعاد السورة وغاياتها. وبعد الانتهاء من المقدمة يقسم سيد فطب السورة إلى مقاطع حسب موضوعاتها، وربما يأتي إلى الوحدة فيقدم لها، أي أنه يعطي عنها فكرة إجمالية، ثم يبدأ بالتحليل آية أية، ويفصل التفسير[2]، وبعد الانتهاء من التفسير الإجمالي يربط النهاية بالبداية ثم الخاتمة[3].

المطلب الثالث: منهج سيد قطب في التفسير:

1. الالتحام المباشر مع القرآن الكريم، والرجوع إليه والعيش في ظلاله دون أن يحول بينه وبين هدايته قضايا كلامية أو بحوث فقهية أو مجالات فلسفية أو تعصبات مدرسية أو رموز باطنية أو إيحاءات صوفية أو تفاصيل لغوية ونحوية وبلاغية[4]، وظهر هذا عندما فسر سيد قطب أول سورة الفاتحة، حيث يقول: "ومع الخلاف حول البسملة أهي آية من كل سورة أم هي آية من القرآن يفتتح بها عند قراءة كل سورة، فإن الأرجح أنها آية من سورة الفاتحة، وبها تحتسب آياتها سبعا، وهناك قول آخر بأن المقصود بقوله تعالى: ﴿ ﴾ [الحجر 87]، هو سورة الفاتحة بوصفها سبع آيات (من المثاني)، لأنها يثنى بها وتكرر في الصلاة"[5]. من هنا يظهر لنا ابتعاد سيد قطب عن المسائل الفقهية الخلافية، واتجاهه مباشرة إلى أرجح الأقوال عنده دون التوسع فيها، وهكذا منهجه في باقي المسائل، لا يتوسع كثيرا ولا يتركها، بل يعتدل ويعطي كل آية حقها، لذا يُعَدُّ الظلال لونا جديدا خاصا من التفسير حيث سار على منهج خاص[6].

2. المنهج الأدبي الذي سلكه سيد قطب خاصة في كتابه (التصوير الفني في القرآن) هو المنهج التصويري، وهو أن كل آية من آيات القرآن لها أسلوب فني جميل، وهو تعبير بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحالة المحسوسة والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، والهدف من ذلك هو تقريب المعنى إلى العقل والقلب معا[7]، واسترجاع الجمال القني في القرآن والاستمتاع به، لأن القرآن كتاب معجز[8].

3. اعتمد سيد قطب في تفسيره على القرآن الكريم كمصدر ومرجع أساس، وعلى الحديث والروايات المأثورة، وعلى كتب التفسير المشهورة مثل: تفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والبغوي، والثعلبي، والسيوطي وغيرهم، وكذلك رجع إلى أمهات المصادر التاريخية، والمراجع الحديثة[9].

4. وقد ركز سيد قطب على إبراز الاعجاز البياني في القرآن الكريم، وما يدور حول القصة القرآنية وأغراضها وخصائصها ورسم

---

(11) انظر: تفسير المراغي، المراغي، 06/01.

(1) انظر: في ظلال سيد قطب، أبو زيد، ص 26، ومنهج سيد قطب في تفسيره، مريم بنت حدمين، ص 5.

(2) انظر: سيد قطب ومنهجه في التفسير، الشيخ الريسوني، ص 167.

(3) انظر: التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، عباس، ص 336.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، 21/01.

(5) انظر: دراسات في علوم القرآن، الرومي، 989/03، ومدخل إلى تفسير القرآن، زرزور، ص 416.

(6) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 242.

(7) انظر: البعد التصويري في القرآن الكريم، مريم سعود، ص 35-36.

(1) انظر: سيد قطب ومنهجه في التفسير، الشيخ الريسوني، ص149، في ظلال القرآن دراسة وتقويم، د. صلاح الخالدي، ص 129/02، 135، 142.

شخصياتها[1].

5. نجح سيد قطب في إظهار الوحدة الموضوعية في تفسيره، ولعله أول مفسر يبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة[2]، ويظهر منهج سيد قطب في بيانه للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من خلال إبرازه لموضوع السورة العام، ومحورها العام، وتعرضه إلى التفسير الإجمالي ثم إظهار التناسق بين دروس السورة والسورة التي تليها، وبين دروس السورة الواحدة، وبين مقاطع الدرس الواحد من السورة، ثم يبرز التناسب بين آيات المقطع الواحد، وبين كلمات الآية الواحدة والجمل، كما أظهر سيد الوحدة الموضوعية بين الجزء الكامل من القرآن، وأظهره في القرآن الكريم كله[3].

6. البعد عن الأساطير والإسرائيليات، وهذا بين من خلال تعامله المباشر مع النص القرآني والنظر إلى الأغراض الأساسية للقرآن، وحرصه على إبقاء القارئ في جو النص، وفي الهدف العملي التربوي من الظلال، ونتيجة لذلك فقد نجح سيد قطب في تجاوز الإسرائيليات والأساطير وعدم إثبات شيء منها في تفسيره[4].

المطلب الرابع: الفروق بين منهج الإمام الطبري ومنهج سيد قطب:

1. يعتمد الإمام الطبري على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– وعن صحابته الكرام، وعن التابعين، ويشدد النكير على من يفسر القرآن بمجرد الرأي، أما سيد قطب فلا يعتمد كثيرا على التفسير بالمأثور، لكنه يفسر بالرأي المحمود، ويعيش في ظلال الآيات القرآنية.

2. يقف الإمام الطبري من السند موقف الناقد البصير، ولا يقبل الرواية إلا بعد تمحيص وتدقيق، أما سيد قطب فقليلا ما يتعرض للإسناد.

3. ,الطبري صاحب مذهب فقهي، وكثيراً ما نراه يعرض لآيات الأحكام ويناقشها ويعالجها، ثم يختار الأقوى دليلاً، أما سيد قطب فلا يتعرض لآيات الأحكام إلا قليلا.

4. يعتني الإمام الطبري بالقراءات القرآنية، ويَرُدُّ القراءات التي لم تَرِدْ عن أئمة القراءات المشهود لهم، أما سيد قطب فقلما يتعرض للقراءات.

5. يلاحظ أن الإمام الطبري يسوق أحيانا في تفسيره أخباراً من القصص الاسرائيلية، لكنه يتعقَّبها بالنقد والتمحيص، أما سيد قطب فقد نجح في تجاوز الأساطير والإسرائيليات، ولم يثبت شيئاً منها في تفسيره .

6. يظهر على تفسير سيد قطب الالتحام المباشر مع القرآن الكريم، والرجوع إليه والعيش في ظلاله، كما يظهر عليه المنهج الأدبي الذي سلكه خاصة في كتابه (التصوير الفني في القرآن)، كما نجح سيد قطب في إظهار الوحدة الموضوعية في تفسيره، ولعله أول مفسر يبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

المطلب الخامس: الرد على من طعن في سيد قطب وتفسير:

1. قال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني: "سيد قطب كاتب ومفكر ومتحمس للإسلام الذي يفهمه، وكفاه أنه قُتل في سبيل دعوته للإسلام، والذين قتلوه هم أعداء الإسلام، وأنه كان غيورا على الإسلام وشباب الإسلام، وأنه يريد إقامة الإسلام"[5].

2. وقال الشيخ العلامة ابن جبرين: "إن سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين ومن أهل الدعوة وقد نصر الله بهما وهدي

---

(2) انظر: سيد قطب ومنهجه في التفسير، الشيخ الريسوني، ص 227.

(3) انظر: مدخل إلى تفسير القرآن، زرزور، ص 431.

(4) انظر: الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفرابي وسيد قطب–دراسة مقارنة، صبحي اليازجي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة، 2000 م.

(5) انظر: مدخل إلى ظلال القرآن، د. صلاح الخالدي، ص 232.

(1) مراحل التطور الفكري عند سيد قطب، الشيخ حسين بن محمود، ص 51.

بدعوتهما خلقا كثيرا ولهما جهود لا تنكر... ولما قتل كل منهما أطلق على كل واحد أنه شهيد لأنه قتل ظلما، وشهد بذلك الخاص والعام ونشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار ثم تلقى العلماء كتبهما، ونفع الله بهما"[1].

3. وقال مفتي السعودية الأسبق الشيخ عبدالعزيز بن باز: إن سيد قطب نفذ فيه حكم الإعدام، رحمة الله عليه وعلى سائر العلماء المسلمين، ونرجو أن يكون من الشهداء الأبرار...، والمذكور له مؤلفات كثيرة مفيدة، أشهرها وأهمها تفسيره (في ظلال القرآن)، وكتبه فيها خير كثير[2].

4. وقال الشيخ عبدالله عزام: لقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، فلم يفسح الأجل للأستاذ سيد قطب أن يرى التجارة المباركة التي غرسها قلمه المبارك، ولم ير الصحوة الإسلامية ولا رجوع الجيل إلى الله، ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، والحق أنني تأثرت بسيد قطب وكتاباته، وإني لأشعر بفضل الله العظيم علي أن شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكرياً[3].

5. وقال الدكتور عدنان محمد زرزور: "الظلال هو دليل عملي مكتوب- إن صح مثل هذا التعبير، إلى المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية"[4].

القسم التطبيقي للدراسة

تفسير الآيات السبع الأولى من سورة الفتح بين الإمام الطبري وسيد قطب

المبحث الأول

الفتح المبين والمغفرة للنبي محمد ﷺ، الآيات (1-3)

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} [الفتح 1-3].

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري:

1. كعادته في التفسير، بدأ الإمام الطبري تفسيره بقوله: القول في تأويل قوله تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ... وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا }** [الفتح 1-3]، فبين أن هذا الخطاب موجه للنبي محمد- صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلم، وأنه حكم له، وكتب له النصر والظفر على هؤلاء الكفار، ليشكر الله، ويحمده على نعمته هذه، وعلى ما فتح له من الفتح المبين، ولكي يسبحه ويستغفره، فيغفر له ما تقدّم من ذنبه قبل الفتح وما تأخر بعده[5]. وقد استدل على ما ذهب إليه بهذا القول في تأويل هذه الآية بدلالة قول الله عزّ وجلّ: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}** [النصر 1-3] ، حيث أمره سبحانه أن يسبح بحمده إذا جاءه نصره وفتح مكة، وأن يستغفره، وبذلك يتحقق له قول الله جل وعلا: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**[6]، وهذا تفسير للقرآن بالقرآن.

---

(2) المرجع السابق، ص 50.

(3) انظر: نفس المرجع السابق، ص 72.

(4) انظر: نفس المرجع السابق، ص 42.

(5) انظر: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، د. عدنان زرزور، ص 426.

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 213/10.

(6) انظر: المرجع السابق، ص 213/10.

2. واستدل الإمام الطبري على عبادة النبي– صَلَّى الله عليه وسلم– لله واستغفاره بما ورد عنه من أحاديث بأنه كان يقوم حتى تتورِم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟)[1]، وكذلك قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: (إِنّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرةٍ)[2][3].

3. وقال في معنى الفتح الذي وعده الله لنبيه– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–، إنها هذه الهدنة التي جرت بين رسول الله– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبين مشركي قريش بالحديبية، وذكر ما قاله أهل التأويل بالسند المتصل: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: "**{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}** قال: قضينا لك قضاء مبينا"[4].

4. وذكر الإمام الطبري أن سورة الفتح نزلت على نبينا– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– بعد الحديبية، بعد الهدنة التي جرَت بينه وبين قومه، واستدل على ذلك بما قاله أهل التأويل من روايات بالأسانيد المتصلة لأصحابها:

- حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر: "**{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}**، قال: الحديبية"[5].
- حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: "لما رجعنا من غزوة الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نسكنا، قال: فنحن بين الحزن والكآبة، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}**، أو كما شاء الله، فقال نبيّ الله– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: لَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلي مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعا"[6][7].
- حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، في قوله: "**{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}** قال: نزلت على النبيّ– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مرجعه من الحديبية، وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فنحر الهدي بالحديبية، وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن، فقال: لَقَدْ أُنزِلَتْ عَلي آيَةٌ أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعا، فَقَرَأَ: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}** ... إلى قوله **{عَزِيزًا}**، فقال أصحابه: هنيئا لك يا رسول الله، قد بين الله لنا ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فأنزل الله هذه الآية بعدها: **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}** ... إلى قوله **{وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**"[8].

5. وفسر قوله تعالى: **{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ}**، أي بإظهارك يا محمد على عدوّك، ورفع ذكرك في الدنيا، وغفران ذنبك في الآخرة، **{وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}**، فيرشدك طريقا صحيحا لا اعوجاج فيه، **{وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}**، نصرا على كل أعدائك، نصرا مؤزرا محققا عزيزا[9].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: التهجد، بَابُ: قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، 50/02، حديث رقم: 1130، صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ،04 /2171، حديث رقم: 2819.

(2) المرجع السابق، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، 67/08، حديث رقم: 6307.

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ص 213/10.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ، ص 214/10.

(5) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، 125/05، حديث رقم: 4172، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ص 214/10.

(6) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، 1413/03، حديث رقم :1786، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ص 215/10.

(7) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ص 215/10.

(8) المرجع السابق، ص 215/10.

(9) انظر: نفس المرجع السابق، ص 217/10.

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب:

كعادته بدأ سيد قطب تفسير السورة بمقدمة غاية في الروعة والجمال لما لها من معان ودلالات، فقد تحدث عن التعريف بالسورة وعدد آياتها، ووقت وأسباب نزولها، والجو العام الذي نزلت فيه، ومقاصدها، ومحورها الرئيس، وفوائدها من نواح مختلفة، وعلاقتها بسورة محمد التي سبقتها، لذلك يرى الباحث أنه لزاما عليه أن يبرز هذه الأمور في عناوين منفصلة.

التعريف بالسورة:

ذكر سيد قطب أن سورة الفتح مدنية، ونزلت في السنة السادسة من الهجرة، بعد صلح الحديبية، ثم ذكر أن الوقت بين نزولها ووقت نزول سورة (محمد) التي تسبقها في ترتيب المصحف، كان نحو ثلاث سنوات[1].

الجو العام الذي نزلت فيه السورة:

حرص سيد قطب على ذكر الحادث الذي نزلت بصدده سورة الفتح لكي نعيش في الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه، وهم يتلقون هذا التنزيل الكريم من القرآن العظيم، فقد أُرِيَ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في منامه أنه يدخل الكعبة ومعه المسلمون، محلقين رؤوسهم ومقصرين، وقد سبق أن منعهم المشركون من دخول مكة منذ الهجرة ، حتى في الأشهر الحرم التي يعظمها العرب كلهم في الجاهلية، ويضعون السلاح ويستعظمون القتال فيها، والصد عن المسجد الحرام، حتى أصحاب الدم كانوا يلتقون في ظلال هذه الحرمة، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يرفع في وجهه سيفا، ولا يصده عن البيت المحرم، ومع ذلك فقد خالفوا تقاليدهم الراسخة وصدوا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– والمسلمين معه طوال السنوات الست التي تلت الهجرة، ولما جاء العام السادس الذي أُرِيَ فيه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– هذه الرؤيا وحدث بها أصحابه– رضوان الله عليهم– فاستبشروا خيرا وفرحوا بها[2].

فخرج رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من المدينة في ذي القعدة معتمرا ولا يريد حربا، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، لأنه كان يخشى من قريش أن يتعرضوا له بالحرب، أو يصدوه عن البيت، فتخلف عنه كثير من الأعراب، فخرج هو ومن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة، ليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا للبيت ومعظما له، لا يريد حربا، وكان أصحاب الحديبية يومها ألفا وأربع مائة، فعلم رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أن قريشا قد سمعت بمسيره، فخرجوا ومعهم عتادهم يعاهدون الله لا يدخلها عليهم أبدا[3].

رسول رسول الله عثمان:

أرسل رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عثمان بن عفان η ليحاور قريشا فبلغه مقتله، فدعا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين، ثم جاء الخبر بأن أمر مقتل عثمان باطل[4].

رسول قريش سهيل بن عمرو:

أرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ليصالحه، على أن يرجع عنهم عامه هذا هو ومن معه، فلما رآه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– مقبلا قال: قد أراد القوم الصلح، ثم جرى بينهما الصلح، فلما تم الاتفاق ولم يبق إلا الكتاب قام عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى! قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى! قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى! قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: الزم يا عمر، فإني أشهد أنه رسول الله، قال

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3306.
(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3306–3307، السيرة النبوية، ابن هشام، 291/04.
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3307.
(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3310، السيرة النبوية، ابن هشام، 275/04.

عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى! قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى! قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى! قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني، قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حين رجوت أن يكون خيرا(1).

علي بن أبي طالب يكتب وثيقة الصلح:

دعا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– علي بن أبي طالب– رضوان الله عليه– ليكتب الصلح، فقال له: اكتب باسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فكتبها بعد أن وافق النبي– صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فكتب بعدما وافق رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فاصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، ولا يدخل مكة عامه هذا، وأن يدخل العام القادم هو وأصحابه وليس معهم إلا سلاح الراكب، والسيوف في القرب(2).

ولما فرغ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من كتابة الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فو الله ما قام منهم رجل، حتى كرر ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل– صلى الله عليه وسلم– على أم سلمة– رضي الله عنها– فذكر لها ما لقي من الناس قالت أم سلمة – رضي الله عنها–: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، فنحر بيده، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى ذلك الصحابة قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا. هذا هو يوم الحديبية، فيه حلق رجال وقصر آخرون، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: (يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: والمقصرين، فقالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا)(3)(4).

نزول سورة الفتح:

وعندما انصرف رسول الله– صلى الله عليه وسلم– نزلت سورة الفتح وهو بين مكة والمدينة، روى الإمام أحمد– بإسناده– عن مجمع بن حارثة الأنصاري– رضي الله عنه– وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على راحلته عند كراع الغميم(5)، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم: **{إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}** قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: أي رسول الله أو فتح هو؟ قال– صلى الله عليه

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3310.

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3311، السيرة النبوية، ابن كثير، 325/03.

(3) مسند الإمام أحمد، باب: مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كتاب: وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ، 337/05، حديث رقم 3311.

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3311–3312، السيرة النبوية، ابن كثير، 377/04.

(5) الغميم بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وميم أخرى، وهو الكلأ الأخضر تحت اليابس، والغميم فعيل بمعنى مفعول أي مغموم، وهو الشيء المغطى، و,كراع الغميم هو موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي وقيل موضع قرب المدينة. انظر: معجم البلدان، الحموي، 214/04.

وسلم: إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح[1].

مكانة سورة الفتح:

بين سيد قطب أن: "هذا هو الجو الذي نزلت فيه السورة، الجو الذي اطمأنت فيه نفس الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى إلهام ربه، فتجرد من كل إرادة إلا ما يوحيه هذا الإلهام العلوي الصادق ومضى يستلهم هذا الإيحاء في كل خطوة وفي كل حركة، لا يستفزه عنه مستفز، سواء من المشركين أو من أصحابه الذين لم تطمئن نفوسهم في أول الأمر لقبول استفزاز المشركين وحميتهم الجاهلية"[2]، وها هي السورة تتناول هذا الحادث الخطير وملابساته وتصور حال الجماعة المسلمة وما حولها، حيث حدثت تغيرات هامة في أحوال الجماعة المسلمة في المدينة، شملت تغيرات في موقفها وموقف المناوئين لها، وتغيرات أكثر أهمية في حالتها النفسية وصفتها الإيمانية، وإقبالها على المنهج الإيماني في إدراك ونضج عميق[3]، ثم بدأ حديثا موجزا عن محاور السورة الرئيسة.

وبعد أن استعرض سيد قطب مجمل موضوعات سورة الفتح قال: "وهكذا تصبح نصوص السورة مفهومة واضحة، تعيش في جوها الذي نزلت فيه، وتصوره أقوى تصوير، بأسلوب القرآن الخاص الذي لا يفصل الحوادث بترتيبها وتسلسلها ولكنه يأخذ منها لمحات توجيهية وتربوية ويربط الحادثة المفردة بالقاعدة الشاملة، والموقف الخاص بالأصل الكوني العام، ويخاطب النفوس والقلوب بطريقته الفذة ومنهجه الفريد"[4].

الموازنة بين سورة الفتح وبين إيحاءات سورة محمد:

والناظر إلى سياق سورة الفتح وجوها العام، وبالموازنة بينها وبين إيحاءات سورة محمد التي قبلها في ترتيب المصحف، يتبين له مدى التغيير الذي طرأ على الجماعة المسلمة في موقفها من تغيرات عميقة ذات دلالات، خلال السنوات الثلاث، التي تفصل بين السورتين في زمن النزول، ويتبين مدى فعل القرآن الكريم في النفوس، وأثر التربية النبوية الرشيدة لهذه الجماعة التي سعدت بالنشوء والنمو في ظلال القرآن، وفي توجيهات ورعاية النبوة، والتي لها أثرها البعيد في تاريخ البشرية الطويل[5]:

1. **جماعة أصحاب عقيدة وإيمان راسخ:** فالمتدبر لجو سورة الفتح وإيحاءاتها يرى أننا أمام جماعة نضج إدراكها للعقيدة، وتجانست مستوياتها الإيمانية، واطمأنت نفوسها لتكاليف هذا الدين، ولم تعد محتاجة إلى حوافز قوية كي تنهض بهذه التكاليف في النفس والمال، ولكن على العكس من ذلك، فهي بحاجة إلى من يخفض حميتها، ويقلل من حدتها، ويأخذ بها إلى الهدوء، والمهادنة بعض الوقت، وفق حكمة وتوجيهات النبوة، ولم تعد الجماعة المسلمة تواجه بمثل قوله تعالى: **{فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ}** [محمد 35]، ولا بمثل قوله تعالى: **{ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ، وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ}** [محمد 38].
2. **عدم الحاجة إلى حوافز قوية للجهاد:** لم يعد لصحابة رسول الله- رضوان الله عليهم- حاجة إلى حوافز قوية للجهاد من خلال الحديث عن الشهداء وما أعد الله لهم عنده من كرامات، ولا لبيان الحكمة من الابتلاء بالقتال كما في سورة محمد، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: **{ذلِكَ وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ}** [محمد 4-6]، إنما صار الحديث عن السكينة التي أنزلها الله في قلوب المؤمنين، أو أنزلها عليهم، والمقصود بها تهدئة فورتهم، وتخفيض حميتهم، واطمئنان قلوبهم لحكم الله وحكمة رسوله- صلى الله

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3311.
(2) المرجع السابق، ص 3312.
(3) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3312.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3314.
(5) انظر: المرجع السابق، ص 3314-3315.

عليه وسلم– في المهادنة والمصالحة، ثم الحديث عن رضى الله سبحانه عن الذين بايعوا تحت الشجرة، فكانت نهاية هذه السورة صورة مشرقة للرسول ومن معه[1].

3. الوفاء بالبيعة والنكث فيها: فالحديث عن البيعة والوفاء بها وعن الذين ينكثون فيها، فننظر إلى قول الله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}** [الفتح 10]، فالإيحاء فيه أكثر إلى تكريم المبايعين وتعظيم شأن البيعة، والإشارة إلى النكث جاءت بمناسبة الحديث عمن تخلف عن رسول الله من الأعراب، وكذلك الإشارة إلى المنافقين والمنافقات فهي إشارة خفيفة عابرة، فإن دلت على شيء فهي تدل على ضعف موقف هذه الطائفة، وعلى نضوج الجماعة المسلمة بالمدينة وتجانسها. وهي على كل حال إشارة خفيفة، لا تشغل من السورة شيئا مما شغله الحديث عن المنافقين في سورة محمد، حيث كان للمنافقين شأنهم الكبير هم وحلفاؤهم اليهود[2].

4. قوة المسلمين وتطور موقفهم: لقد طرأ تطور آخر في موقف الجماعة المسلمة من ناحية موقفها الخارجي، والذي يساير ذلك التطور الذي تم في نفوسها من الداخل، وواضح كذلك قوة المسلمين بالقياس إلى قوة المشركين في جو السورة كلها، والاشارة إلى الفتوحات المستقبلة، وإلى رغبة المخلفين من الأعراب في الغنائم السهلة واعتذارهم، وإلى ظهور هذا الدين على الدين كله، كلها تشيد بما بلغته قوة المسلمين في هذه الفترة التي بين نزول السورتين[3].

5. تطور حالة المسلمين ودلالاته: فقد حدث تطور واضح في حقيقة نفوس المسلمين، وفي حال الجماعة، وفي الظروف المحيطة بها، هذا التطور يدركه من يتتبع النصوص القرآنية، ولهذا التطور قيمته، كما أن له دلالته على أثر المنهج القرآني والتربية المحمدية لهذه الجماعة السعيدة الفريدة في التاريخ، فلا تضيق صدورهم أو تضعف، ولا تؤثر فيها رواسب الماضي ومخلفاته، وكلها تبدو في أول العهد قوية عميقة عنيفة ومؤثرة، لكنها مع المثابرة والحكمة والصبر على العلاج، تأخذ في التحسن والتطور، كما أن الابتلاءات تعين على التحسن والتطور، فهي فرصة للتربية والتوجيه، وتصفية رواسب الماضي، وتستشرق القلوب والنفوس آفاقا أعلى وأسمى، حتى ترى النور هناك في الأفق البعيد [4].

الفيض الإلهي على رسول الله– صلى الله عليه وسلم:

افتتحت السورة بفيض إلهي على رسوله– صلى الله عليه وسلم: حيث الفتح المبين، والمغفرة الشاملة، والنعمة التامة، والهداية الثابتة، والنصر العزيز، مصداقا لقول الله تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}** [الفتح 1–3]، وجاء هذا كله جزاء الطمأنينة التامة لإلهام الله وتوجيهه، والاستسلام والرضى، والتجرد المطلق من كل إرادة ذاتية، فها هو عمر بن الخطاب يسأل النبي γ : لم نعطي الدنية في ديننا؟ فيجيبه الحبيب: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني، وكذلك حين يشاع أن عثمان قد قتل فيدعو رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: الناس إلى البيعة، فتكون بيعة الرضوان[5].

ثمرات صلح الحديبية:

لقد كان صلح الحديبية فتحا مبينا، وأعقبه فتوح شتى في صور متعددة، فكان فتحا في الدعوة، فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، ومن ثمرات هذا الصلح:

(1) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3315.
(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3315، السيرة النبوية، ابن هشام، 289/04.
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3315.
(4) انظر: المرجع السابق، ص 3315–3316.
(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3316، السيرة النبوية، ابن هشام، 289/04.

أولا: التفرغ للدعوة ودخول العظماء فيها:

لما وضعت الحرب أوزارها، وكانت الهدنة، وأمن الناس بعضهم بعضا، دخل في الإسلام بين صلح الحديبية وفتح مكة أكثر مما كان قبل الإسلام، فقد خرج رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، إلى الحديبية ومعه ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد ذلك بسنتين في فتح مكة بعشرة آلاف، وكان ممن أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، فكان فتحا في الأرض، وقد أمن المسلمون شر قريش وغيرها[1].

ثانيا: تخليص الجزيرة العربية من بقايا الخطر السياسي اليهودي:

بعد أن قويت شوكة المسلمين ودخل الكثيرون في الإسلام، اتجه رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، إلى تخليص جزيرة العرب من بقايا الخطر السياسي اليهودي، بعد التخلص من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، فقد كان هذا الخطر يتمثل في إثارة الفتن والنزاعات، والتي كادت أن تصل إلى الاشتباك المسلح في بعض المراحل بين المسلمين من جهة، وكذلك إثارة الفتن والنزاعات بين المسلمين وغيرهم من المشركين من جهة أخرى[2].

ثالثا: تخليص الجزيرة من التهديد الاقتصادي:

كانت حصون خيبر تقع في طريق التجارة إلى الشام، وكانت هذه القواعد تمثل خطرا كبيرا يهدد الأمن الاقتصادي، فتمكن المسلمون من القضاء على هذا الخطر، فجمعوا الغنائم العظيمة والتي جعلها رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، لمن حضر الحديبية دون سواهم، لقد كان فتحا في المواقف بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة وسائر المشركين حولها، ولا شك في أن صلح الحديبية الذي سماه القرآن بالفتح العظيم يستحق هذا الوصف كل الاستحقاق، بل إنه يعد من الأحداث العظيمة في تاريخ الإسلام[3].

رابعا: اعتراف قريش بمحمد ودينه:

بعد هذا الصلح العظيم اعترفت قريش بالنبي محمد- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، والإسلام وقوته وكيانه، وعَدت أن النبي- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، والمسلمين أندادا لها، بل أكثر من ذلك فقد دفعتهم عنها بالتي هي أحسن، فبعد أن بعثت هذه الغزوة في نفوس المسلمين أشد الاضطراب والهلع لضعفهم وقلتهم مقارنة بالكفار، كان لها شأن عظيم في نفوس العرب، الذين كانوا يرون في قريش الإمام والقدوة، فقد ظن الأعراب أن النبي والمسلمين لن يعودوا سالمين من هذه الرحلة، وأن المنافقين كانوا يظنون أسوأ الظنون، ولكن تبين لنا فيما بعد مدى خطورة هذا الفتح وبعد مداه[4].

خامسا: تزايد قوة المسلمين:

بعد أن تجلى لنا عظم الفوائد المادية والمعنوية والسياسية والحربية والدينية التي عادت على المسلمين، فقد ظهر صدق إلهام النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما فعل، وأيده فيه القرآن، إذ تجلت قوتهم في عيون القبائل، وبادر المتخلفون من الأعراب إلى الاعتذار، وازداد صوت المنافقين في المدينة خفوتا، وتمكن المسلمون من كسر شوكة اليهود في خيبر وغيرها خاصة التي على طريق الشام، واستطاع الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يبعث الجيوش إلى بلاد بعيدة كنجد واليمن، وإذ استطاع بعد سنتين أن يغزو مكة ويفتحها فتحا حاسما، فقد جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ولذلك نعود فنؤكد أنه كان هناك- إلى جانب هذا كله- فتح آخر، فتح في النفوس والقلوب، تصوره بيعة الرضوان، التي رضي عنها الله وعن أصحابها، ذلك

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3316.
(2) انظر: المرجع السابق، ص 3316.
(3) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3316.
(4) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3317.

الرضى الذي وصفه القرآن، فهذا فتح في تاريخ الدعوات له حسابه، وله دلالته، وله آثاره بعد ذلك[1].

العطاء الرباني وفرح رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم:

حقا لقد فرح رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، بهذه السورة وحق له أن يفرح، فرح قلبه الكبير بهذا الفيض الرباني عليه وعلى المؤمنين معه، حيث الفتح المبين، والمغفرة الشاملة، والنعمة التامة، والهداية إلى صراط الله المستقيم، والنصر العزيز الكريم، ورضى الله عن المؤمنين ووصفهم ذلك الوصف الجميل[2]، فقال صلوات ربي عليه: (نزل عليّ البارحة سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس)[3]، وفاضت نفسه الطيبة بالشكر لربه على ما أولاه من نعم، فاضت بالشكر في صلاة طويلة تورمت فيها قدماه الشريفتان،، تقول عنها عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، إذا صلى قام حتى تنفر رجلاه، فقالت له عائشة– رضي الله عنها، يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: (يا عائشة، افلا أكون عبدا شكورا؟)[4][5].

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمام الطبري وتفسير سيد قطب:

1. **تقسيم الآيات إلى مقاطع وأجزاء:** ظهر توافق بين المفسرين في تقسيم الآيات القرآنية المراد تفسيرها، إلى مقاطع، أجزاء.
2. **مكان وسنة النزول:** ذكر سيد قطب في مستهل تفسيره أن هذه السورة مدنية، وأنها نزلت في السنة السادسة من الهجرة، عقب صلح الحديبية، وهي تصف حال الجماعة المسلمة في ذلك الوقت، بينما لم يتعرض الامام الطبري إلى هذا الأمر.
3. **دلالات السورة وأسباب نزولها:** بين الإمام الطبري أن سورة الفتح نزلت على نبينا– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– بعد الحديبية، بعد الهدنة التي جرَت بينه وبين قومه، واستدل على ذلك بما رواه أهل التأويل من أحاديث، وذكر روايات كثيرة. أما سيد قطب فقد فصل تفصيلا طويلا وشيقا في جو السورة ودلالاتها وأسباب نزولها، وتحدث عن جو نزول السورة ، ثم رجح رواية ابن هشام لوقائع الحديبية، واعتبرها أوفى مصدر تستند إليه في تصورها.
4. **المقارنة بين سورة الفتح وسورة محمد:** قارن سيد قطب بين سورة الفتح وسورة محمد– التي سبقتها في ترتيب المصحف– وكيف تأثر موقف المسلمين بالسكينة التي أنزلها الله عليهم وعلى قلوبهم، فهدأت فورتهم، وخفضت حميتهم، واطمأنت قلوبهم لحكم الله وأمر رسوله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم–، فلم تعد محتاجة إلى حوافز قوية كي تنهض بهذه التكاليف في النفس والمال، بل عادت محتاجة إلى من يخفض حميتها، وينهنه حدتها، ويأخذ بزمامها لتستسلم للهدوء، والمهادنة بعض الوقت، لم تعد الجماعة المسلمة تواجه بمثل قوله تعالى: **{فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ}** [محمد 35]، ولا بمثل قوله تعالى: **{ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ، وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ}** [محمد 38]، ولم تعد في حاجة إلى حوافز قوية للجهاد بالحديث عن الشهداء وما أعد الله لهم عنده من الكرامة، ولا بيان حكمة الابتلاء بالقتال ومشقاته كما في سورة محمد، إذ يقول الله تعالى: **{ذلِكَ وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ}** [محمد 4–6]، بينما لم يتعرض الإمام الطبري لهذا البيان.
5. **معنى الفتح:** قال الإمام الطبري في معنى الفتح الذي وعده الله لنبيه– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– والهدنة التي جرت بين رسول

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

(2) انظر: المرجع السابق، ص 3317.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، 1413/03، حديث رقم: 6307.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: التهجد، بَابُ: قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، 50/02، حديث رقم: 1130، صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ،04 /2171، حديث رقم: 2819.

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– وبين مشركي قريش بالحديبية، إنها القضاء المبين. أما سيد قطب فلم يذكر أن معنى الفتح هو القضاء.

6. مكانة الفتح والنعم المترتبة عليه: ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ... وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}** [الفتح 1–3]، أن هذا الخطاب موجه لنبيه محمد– صَلَّى الله عليه وسلم– وأنه حكم له، وكتب له النصر والظفر على هؤلاء الكفار، ليشكر الله، ويحمده على نعمته هذه، وعلى ما فتح له من الفتح المبين، ولكي يسبحه ويستغفره، فيغفر له ما تقدّم من ذنبه قبل الفتح وما تأخر بعده، وبرهن على ذلك بآيات من القرآن: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}** [النصر 1–3]، حيث أمره سبحانه أن يسبحه بحمده إذا جاءه نصره وفتح مكة، وأن يستغفره، وبذلك يتحقق له قول الله سبحانه: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**، كما استدل على عبادة النبي لله واستغفاره بما ورد عنه من أحاديث بأنه كان يقوم حتى تتورم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **(أفَلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟)**[(1)][(2)]، وكذلك قوله– صَلَّى الله عليه وسلم–: **(إنّي لأسْتَغْفِرُ الله وأتُوبُ إلَيْهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرةٍ)** [(3)][(4)]. وذكر سيد قطب: أن افتتاح السورة جاء ببشرى لرسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– فرح لها قلبه فرحا عميقا: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ... وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}**، لما فيها من الامتنان عليه وعلى المؤمنين بالسكينة، والاعتراف لهم بالإيمان، وتبشيرهم بالمغفرة والنصر[(5)]، وفتح مبين، ومغفرة شاملة، ونعمة تامة، وهداية ثابتة، ونصر عزيز[(6)]، كما أصبح المسلمون معترفا بهم من قريش وبدعوتهم وديتهم ونبيهم، كما اعترفوا بقوتهم وكيانهم، بل أصبحوا ندا لهم، فقد قووا في عيون القبائل، وبادر المتخلفون بالاعتذار، وتضاءل صوت المشركين والمنافقين، وتوافدت الوفود العربية إلى رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– من أقصا البلاد، وغزا مكة فاتحا بعد بضع سنين. وبالمقارنة بين المفسرين يبرز بشكل كبير تركيز الإمام الطبري على التفسير بالمأثور وتركيز سيد قطب على التفسير بالرأي المحمود.

7. المقصود بالفتح: أوضح الامام الطبري أن سورة الفتح نزلت على نبينا– صَلَّى الله عليه وسلم– بعد الحديبية، وأن المقصود بالفتح هنا هو صلح الحديبية، واستدل على ذلك بما قاله أهل التأويل من أحاديث. أما سيد قطب فقد عدّ هذا الصلح فتحا تبعه فتوح أخرى في صور متعددة، واستدل على ذلك بما قاله الزهري وابن هشام، وعدّ صلح الحديبية فتحا عظيما في تاريخ الدعوة والتاريخ الاسلامي، فأصبح المسلمون معترفا بهم من قريش، ومعترفا بدعوتهم وديتهم ونبيهم، كما اعترفوا بقوتهم وكيانهم، بل أصبحوا ندا لهم، لقد قووا في عيون القبائل، وبادر المتخلفون بالاعتذار، وتضاءل صوت المشركين والمنافقين، وتوافدت الوفود العربية إلى رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– من أقصا البلاد، وغزا مكة فاتحا بعد بضع سنين.

8. فسر الإمام الطبري قوله تعالى: **{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ}**، أي بإظهارك على عدوّك، ورفع ذكرك في الدنيا، **{وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}**، أي: يرشدك طريقا صحيحا لا اعوجاج فيه، **{وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}**، أي: وينصرك على كل من عاداك. أما سيد قطب: فقد بين أن الله سبحانه أنعم على النبي– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– وعلى المؤمنين بالسكينة، والاعتراف لهم بالإيمان، وتبشيرهم بفتح مبين، ومغفرة شاملة، ونعمة تامة، وهداية ثابتة، ونصر عزيز.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: التهجد، بَابُ: قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، 50/02، حديث رقم: 1130، صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، 04 /2171، حديث رقم: 2819.

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، 67/08، حديث رقم: 6307.

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

(5) انظر: المرجع السابق، ، ص 3313.

(6) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3316.

وبالوقوف على المصطلحات الثلاثة: معنى الفتح، والمراد بالفتح، والفوائد المترتبة عليه، يرى الباحث أن معنى الفتح هو القضاء المبين، أما المراد بالفتح هنا فهو صلح الحديبية كما دلت عليه الأحاديث الصحاح، وهذا ما عليه الجمهور[1]، ومع أن الخطاب موجه للنبي– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم–، لكنه أيضا موجه لكل من يصلح له الخطاب، فكل فتح يلي ذلك الفتح فهو جائز ومقبول، كفتح خيبر، وفتح الروم، وفتح مكة، والفتح في الدعوة وما تلاه من انتشار واسع لدين الله سبحانه، أما فوائد هذا الفتح كما ورد في الآيات فهي: غفران الذنب، وإتمام النعمة، والهداية إلى الصراط المستقيم، والنصر العزيز، وباعتبار صلح الحديبية فتحا عظيما في تاريخ الدعوة والتاريخ الاسلامي، فقد انعكس ذلك على المسلمين فأصبحوا معترفا بهم من قريش، ومعترفا بدعوتهم وديتهم ونبيهم، كما اعترفوا بقوتهم وكيانهم، بل أصبحوا ندا لهم، لقد قووا في عيون القبائل، وبادر المتخلفون بالاعتذار، وتضاءل صوت المشركين والمنافقين، وتوافدت الوفود العربية إلى رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم–، فحق لسيد قطب أن يتفاخر بذلك. ويرى الباحث أيضا أن هذا المقطع قد جاء بمثابة مدخل للسورة، فقد ذكر الله سبحانه فيه رعايته لرسوله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– وللمؤمنين في أمور دنياهم وآخرتهم، فالخطاب في هذه الآيات موجه للنبي– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– ولكل من يصلح له الخطاب من المسلمين. وتبين للباحث مدي اعتماد الإمام الطبري على التفسير بالمنقول عن النبي– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، وعن أصحابه الكرام، وبالأسانيد المتصلة، مع عزو الأقوال إلى أصحابها، بينما اعتمد سيد قطب في تفسيره على إعمال العقل، وخاصة أنه عاش التجربة بنفسه في ظلال الآيات وإيحاءاتها، فانعكس ذلك على تفسيره.

المبحث الثاني

جزاء المؤمنين، الآيات (4–5)

{هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} [الفتح 4–5].

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري:

1. بدأ الإمام الطبري التفسير بقوله: القول في تأويل قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}**، أي أن الله سبحانه أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله، وآمنوا بالحق الذي بعث الله به نبيه، **{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}**، ليزدادوا بتصديقهم بما جدّد الله من الفرائض التي لم تكن عليهم، وليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك، وذكر الشاهد: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: "**{هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}** قال: السكينة: الرحمة، **{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}** قال: إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدا– صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}**" [المائدة 3] ، قال ابن عباس: (فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله)[2].

2. ثم بين المراد بقوله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}** أي أن لله جنود أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه، **{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}**، والله سبحانه لا يزال عليما بما هو كائن قبل كونه، حكيما في تدبيره[3].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، باب قصة الحديبية، الزيلعي، 305/3.

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10–217.

(2) انظر: المرجع السابق، 218/10.

3. ثم انتقل إلى تفسر قوله تعالى: **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**، فما كان هذا الفتح إلا ليحمد المؤمنون ربهم، ويشكروه على ما أنعم به عليهم من نعم كنعمة الفتح، والنصر العزيز، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدا، وليكفر عنهم سيئات أعمالهم بالحسنات التي يعملونها حمدا لله على نعمه، **{وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**، وكان ذلك الوعد بإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتكفير سيئاتهم بأعمالهم الحسنة **{فَوْزًا عَظِيمًا}** ظفرا بما كانوا يسعون له، ونجاة مما كانوا يحذرون منه وهو عذاب الله العظيم[1].

4. وقد ذكر الإمام الطبري سبب نزول الآية: أنه لما نزل قول الله سبحانه لرسوله- صَلَّى الله عليه وسلم-: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**، قال المؤمنون: هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ فنزل قوله جل وعلا: **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**[2][3].

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب:

1. ذكر سيد قطب أن سياق هذه الآيات يصف نعمة الله على المؤمنين بهذا الفتح، وما ادخره لهم في الآخرة من غفران وفوز ونعيم، وبين أن السكينة لفظ معبر عن الطمأنينة والراحة، واليقين والثقة، والوقار والثبات، والاستسلام والرضى[4].

2. وذكر أن قلوب المؤمنين كان ينتابها انفعالات شتي بعد الحديبية، كالتطلع إلى تصديق رؤيا رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - بدخول المسجد الحرام والطواف، وكيف كانت حميتهم لدينهم وحماستهم للقاء المشركين، ولكن انتهى الأمر إلى المصالحة والمهادنة والرجوع، فلم يكن هينا على نفوسهم أن تنتهي الأمور إلى ما انتهت إليه، حتى أنهم لم ينحروا ويحلقوا أو يقصروا إلا حين رأوا رسول الله يفعل ذلك بنفسه[5].

وقد روي عن عمر- رضي الله عنه- أنه جاء أبو بكر وهو مهتاج، فقال له: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال أبو بكر- الموصول القلب بقلب رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- الذي ينبض قلبه على دقات قلب رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به، فتركه عمر- رضي الله عنه- وذهب إلى النبي- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- فقال له فيما قال: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: (بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟)، قال: لا، قال رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: (فإنك آتيه ومطوف به)[6]، فهذه صورة مما كان يجيش في القلوب، فكان المؤمنون ضيقي الصدور بشروط قريش، من رد من يسلم ويأتي محمدا بغير إذن وليه[7].

3. وذكر سيد قطب أن حمية المشركين تمثلت في رد اسم الرحمن الرحيم، وفي رد صفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد روي أن عليا- رضي الله عنه- أبى أن يمحو هذه الصفة كما طلب سهيل بن عمرو بعد كتابتها، فمحاها رسول الله وهو يقول: (اللهم إنك تعلم أني رسولك)[8].

كما كانت حميتهم لدينهم وشوقهم للقاء المشركين بالغة، وقد انتهى الأمر إلى المصالحة والمهادنة ثم الرجوع، فلم يكن

---

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، 125/05، حديث رقم: 4172.

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10.

(6) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

(7) انظر: المرجع السابق، ص 3318.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: باب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، 193/03، حديث رقم: 2731.

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3318.

(3) مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ، 371/03، حديث رقم: 3188.

هذا هينا على نفوسهم، وقد ظهر ذلك جليا في تباطئهم في النحر والحلق، فلم ينحروا ولم يحلقوا ولم يقصروا إلا عندما فعل ذلك رسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– بنفسه، فهزتهم هذه الفعلة العملية حين لم يهزهم القول، وهم كانوا قد خرجوا من المدينة بنية العمرة، لا ينوون قتالا، فلما عزم رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– وطلب منهم البيعة أعطوها له عن بكرة أبيهم(1).

4. ويستطرد سيد قطب قائلا: وحين يسترجع المسلم هذه الصور التي حدثت يدرك معنى قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}**، فيذوق طعم السكينة وسلامها في تلك القلوب، كيف لا وقد تفضل الله عليهم بهذه السكينة **{لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِم}**، والطمأنينة درجة فيها الثقة التي لا تقلق، وفيها الرضى المطمئن باليقين، ومن ثم يلوّح النصر، الذي هو على الله هين(2).

5. ثم بين سيد قطب أنه لو اقتضت الحكمة يومئذ أن يكون الأمر كما أراده فإن لله جنودا لا تحصى ولا تغلب، تدرك النصر وقتما يشاء: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}**، فهي حكمته وهو علمه، تسير الأمور وفقهما كما يريد(3).

6. وفي قوله تعالى: **{أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ}**، بين سيد قطب أن إنزال السكينة إنما كان ليحقق الله لهم ما قدره من فوز ونعيم ثم **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، خالِدِينَ فِيها، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ، وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً}**، فإذا كان هذا في حساب الله فوزا عظيما، فهو فوز عظيم، فوز عظيم في حقيقته، وفوز عظيم في نفوس من ينالونه من عند الله مقدرا بتقديره، موزونا بميزانه، والنتيجة أن فرح المؤمنون يومها بما كتب الله لهم، وكانوا قد تطلعوا إلى نصيبهم هم، وقد سألوا عنه النبي– صَلَّى الله عليه وسلم–، فلما أجابهم وعلموا فاضت نفوسهم بالرضى والفرح واليقين(4).

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمام الطبري وتفسير سيد قطب:

1. معنى السَّكِينَةَ وما يترتب عليها: فقد ذكر الإمام الطبري أن **(السَّكِينَةَ)** هي: السكون والطمأنينة والرحمة في قلوب المؤمنين، وما جاءت هذه السكينة إلا ليزداد المؤمنون إيمانا بتصديقهم بما فرض الله عليهم من الفرائض، ثم ذكر الشاهد: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **{هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}**، قال: السكينة: الرحمة، **{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}**، قال: إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدا– صَلَّى الله عليه وسلم– بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}** [المائدة 3] (5). أما سيد قطب فقد بين أن السكينة لفظ معبر عن الطمأنينة والراحة، واليقين والثقة، والوقار والثبات، والاستسلام والرضى، وأن المؤمن عندما يتدبر معنى قوله تعالى: **{هُوَا الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}**، يذوق طعم السكينة وسلامها في قلبه، والله سبحانه قد تفضل على المؤمنين بهذه السكينة **{لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِم}**، حيث الطمأنينة والثقة والرضى ثم النصر(6).

ويرى الباحث أن المفسرين الإمام الطبري وسيد قطب قد ذهبا إلى نفس القول في معنى **(السَّكِينَةَ)**، وهو يشمل: السكون والطمأنينة والرحمة، والأمن والراحة، واليقين والثقة، والوقار والثبات، والاستسلام والرضى، كما أن لهذه السكينة أثر طيب على المؤمنين، كأن يزدادوا إيمانا بتصديقهم بما فرض الله عليهم من الفرائض، وليعرفوا فضل الله عليهم بتبديل خوفهم أمنا، فيزدادوا يقينا إلى يقينهم، ويزدادوا إيمانا بالشرائع التي أنزلت عليهم، ويزدادوا طمأنينة وثقة ورضا. ومن الواضح من خلال هذه المقارنة أن

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3318.
(5) انظر: المرجع السابق، ص 3318.
(6) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3318.
(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3319.
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 10/218–217.
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3317.

الإمام الطبري يركز على التفسير بالمأثور، وأن سيد قطب يركز على ظلال الآيات وإيحاءاتها، وعلى التفسير بالرأي المحمود.

2. جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ: ثم انتقل الإمام الطبري وسيد قطب ليبينا المراد بقول الله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}**، فقال **الإمام الطبري** المقصود أن لله جنود وأنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه، والله سبحانه لا يزال عليما بما هو كائن قبل كونه، حكيما في تدبيره[1]. أما **سيد قطب** فقد قال: لو اقتضت حكمة الله يومئذ أن يكون الأمر كما أراده فإن له جنودا لا تحصى ولا تغلب، تحقق النصر وقتما يشاء، فهي حكمته وهو علمه، تسير الأمور وفق ما يريد[2].

ويرى الباحث التوافق بين تفسير الإمام الطبري وسيد قطب في معنى قول الله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}**، وما ترتب على ذلك من فضله على عباده المؤمنين، فالله سبحانه يسلط هذه الجنود بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته.

3. جزاء المؤمنين الجنة: ففي تفسير قول الله تعالى: **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**، قال **الإمام الطبري:** لكي يحمد المؤمنون ربهم، ويشكروه على ما أنعم به عليهم من نعم شتى، فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدا، وذلك **{فَوْزًا عَظِيمًا}** ظفرا بما كانوا يتمنون من دخول الجنة[3]. أما **سيد قطب** فتحدث حول ظلال الآيات وإيحاءاتها، فإذا كان هذا في حساب الله فوزا عظيما، فهو فوز عظيم، فوز عظيم في حقيقته، وفوز عظيم في نفوس من ينالونه من عند الله مقدرا بتقديره، موزونا بميزانه، والنتيجة أن فرح المؤمنون يومها بما كتب الله لهم، وكانوا قد تطلعوا إلى نصيبهم، وسألوا عنه النبي– صَلَّى الله عليه وسلم–، فلما سمعوا وعلموا فاضت نفوسهم بالرضى والفرح واليقين[4].

وذكر الإمام الطبري سبب نزول الآية: أنه لما نزل قول الله سبحانه لرسوله– صَلَّى الله عليه وسلم–: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**، قال المؤمنون: هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ فنزل قوله جل وعلا: **{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}**[5].

4. **وقد انفرد سيد قطب بذكر:** أن قلوب المؤمنين كان ينتابها انفعالات شتي بعد الحديبية، كالتطلع إلى تصديق رؤيا رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– بدخول المسجد الحرام والطواف، وكيف كانت حميتهم لدينهم ورغبتهم للقاء المشركين، ورغم ذلك فقد انتهى الأمر إلى المصالحة والمهادنة ثم الرجوع، فلم يكن هينا على نفوسهم أن تنتهي الأمور إلى ما انتهت إليه، حتى أنهم لم ينحروا ولم يحلقوا ولم يقصروا إلا حين رأوا رسول الله– صَلَّى الله عليه وسلم– يفعل هذا بنفسه، فقد اطمأنت قلوبهم بالسكينة والهدوء والطمأنينة.

المبحث الثالث

جزاء الكافرين، الآيات (6–7)

{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح 6–7].

المطلب الأول: تفسير الإمام الطبري:

1. بدأ الإمام الطبري تفسيره للآيات بقوله: القول في تأويل قوله تعالى: **{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ...**

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10.
(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3318.
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10.
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3319.
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 218/10.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}، فبين أن الله تعالى يذكر نبيه– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– بالفتح المبين والسكينة، وبمغفرة ذنبه، وإتمام النعمة، والنصر العزيز، وأيضا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، وليعذّب المنافقين والمنافقات، **{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ}** أنه لن ينصرك والمؤمنين على أعدائك، فالذين ظنوا هذا الظن سوف تدور عليهم دائرة العذاب، وليعذب كذلك المشركين والمشركات **{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ}** أنه لن ينصرك ومن معك من أهل الإيمان عليهم، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين، ذلك كان سوء ظنونهم الذي ذكره الله في هذا الموضع، فالله سبحانه سيجعل دائرة العذاب تدور على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن السيء[1].

2. ثم ذكر الإمام الطبري اختلاف القرّاء في قراءة: **{دَائِرَةُ السَّوْءِ}**، حيث "قرأ عامة قرّاء الكوفة بفتح السين، وقرأ بعض قرّاء البصرة **{دائِرَةُ السُّوءِ}** بضم السين، وكان الفرّاء يقول: الفتح أفشى في السين؛ لأن العرب قلما تقول دائرة السُّوء بضم السين، والفتح في السين أعجب إليّ من الضم، لأن العرب تقول: هو رجل سَوْء، بفتح السين؛ ولا تقول: هو رجل سُوء"[2].

3. وقال في تفسير قوله تعالى: **{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}**: أنزل عليهم غضبه، وحلت عليهم لعنته، وطردهم من رحمته، **{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ}** يصلونها يوم القيامة، **{وَسَاءَتْ مَصِيرًا}**، وساءت لهم منزلا يصير إليه هؤلاء جميعهم: المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، وكل من كفر[3].

4. وعن قول الله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}**: يذكر الإمام الطبري أن الله له جنود في السماوات وجنود في الأرض، وهم أنصاره على أعدائه، إن أمرهم سارعوا في طاعته فأهلكوهم، فالله ذو عز لا يغلبه غالب، وهو عظيم سلطانه وقدرته وحكمته، **{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}**، حكيما في تدبير شؤون خلقه[4].

المطلب الثاني: تفسير سيد قطب:

1. بين سيد قطب أن من حكمة الله:

- مجازاة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، بما يصدر عنهم من عمل وتصرف.
- وأن النص القرآني قد جمع بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة **ظَنَّ السَّوْءِ** بالله.
- وجمع بينهم أيضا في عدم الثقة بنصر الله لعباده المؤمنين.
- وفي أن جميع المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات **(عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ)**، فهم محصورون فيها، وهي تدور عليهم وتقع بهم.
- وفي غضب الله عليهم ولعنته لهم.
- وفيما أعده لهم من سوء المصير[5].

2. كما بين بعد ذلك أن النفاق صفة مذمومة، لا تقل عن الشرك سوءا، بل إنها أحط، وأن أذى المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين والمشركات، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه، هؤلاء جميعا هم أعداء الاسلام، وقد جمعتهم صفة مشتركة هي ظن السوء بالله، ثم وصف القلب المؤمن بحسن الظن بربه، فهو يتوقع منه الخير دائما، في السراء والضراء لأنه يؤمن بأن الله يريد به الخير في كل الأحوال، وذلك لأن قلبه متعلق بخالقه، وأما المنافقون والمشركون فصلتهم بالله

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 219/10.
(2) المرجع السابق، 219/10.
(3) انظر: نفس المرجع السابق، 219/10.
(4) انظر: نفس المرجع السابق، 220/10.
(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3319.

مقطوعة، ولا يسكن قلوبهم إلا سوء الطن، لذلك هم يبنون عليها أحكامهم، ويتوقعون الشر والسوء لرسول الله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– وللمؤمنين[1].

3. ثم انتقل إلى قول الله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ، وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}**، فبين أن الله لا يعجزه من أمرهم شيء، ولا يخفى عليه من أمرهم شيء، فله جنود السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم[2].

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمام الطبري وتفسير سيد قطب:

1. العذاب للمنافقين والمشركين: يذكر االله تعالى في سياق هذه الآية نبيه– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– بما أنعم عليه من الفتح المبين بمغفرة ذنبه وإتمام النعمة والنصر العزيز، وأنه قد أنعم أيضا على المؤمنين والمؤمنات بأن يدخلهم جنات النعيم، وأنه سوف يعذّب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات **{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ}** الظن السيء، فعليهم دائرة السوء، وعليهم غضب الله، وعليهم لعنة الله، ولهم جهنم بما فيها من مصير سيء، فهذا الظن اليء الرديء والفاسد مصيره الدمار والهلاك، هذا ما ذكره الإمام الطبري وسيد قطب.

2. القراءات: تعرض الإمام الطبري إلى القراءات في: **{دَائِرَةُ السَّوْءِ}**، فذكر الإمام الطبري أن عامة قرّاء الكوفة قرأوا بفتح السين، وقرأ بعض قرّاء البصرة **{دائِرَةُ السُّوءِ}** بضم السين، ثم رجح بينها عندما قال: وكان الفرّاء يقول: الفتح أفشى في السين؛ لأن العرب قلما تقول دائرة السُّوء بضم السين، والفتح في السين أعجب إليّ من الضم، لأن العرب تقول: هو رجل سَوْء، بفتح السين؛ ولا تقول: هو رجل سُوء[3].أما سيد قطب فلم يتعرض للقراءات في تفسيره.

3. غضب الله وسوء المصير للمنافقين والمشركين: ذكر الإمام الطبري أن المنافقين والمشركين نالهم غضب الله، وحلت عليهم لعنته، وأبعدهم عن رحمته، **{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}**، كما **{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ}** يصلونها يوم القيامة، **{وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** لهم، ومنزلا يصيرون إليه، هؤلاء جميعهم هم: المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات[4]. وبمثل هذا قال سيد قطب.

4. لله جنود في السماوات والأرض: ذكر الإمام الطبري أن الله له جنود في السماوات، وله جنود في الأرض، **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}**، إن أمرهم سارعوا في طاعته فأهلكوا أعداءه، فهو ذو عز لا يغلبه غالب، وذو حكمة بالغة في تدبير أمور خلقه، وهو عظيم سلطانه، فائقة قدرته، بالغة حكمته[5]، وذكر مثل هذا القول سيد قطب.

5. مكانة النفاق: ذكر سيد قطب: "أن النفاق صفة مرذولة لا تقل عن الشرك سوءا، بل إنها أحط، وأن أذى المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين والمشركات، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه، هؤلاء جميعا هم أعداء الاسلام"[6].

6. دلالات حكمة الله في المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات: لم يتعرض لهذه الدلالات إلا سيد قطب، وقد بينها كالتالي:

- مجازاة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، بما يصدر عنهم من عمل وتصرف.
- والجمع بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة **ظَنَّ السَّوْءِ** بالله.
- والجمع بينهم أيضا في عدم الثقة بنصر الله سبحانه لعباده للمؤمنين.

---

(2) انظر: المرجع السابق، ص 3319.

(3) انظر: نفس المرجع السابق، ص 3319.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 219/10.

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 219/10.

(2) انظر: المرجع السابق، 220/10.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 3319.

- والجمع في أن جميع المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات **(عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ)**، تدور عليهم.
- والجمع في أن غضب الله عليهم ولعنته لهم.
- وفيما أعده لهم من سوء المصير[1].

ويرى الباحث أن عذاب الله واقع لا محالة على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، وعلى كل من كفر، وهذا العذاب يحمل في طياته كل أشكال العذابات، ما علمنا منها وما لم نعلم، وأن سوء ظنهم بالله وبرسوله– صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم– وبالمؤمنين سوف ينقلب عليهم ويتجرعوا مرارته، فدائرة السوء ستدور عليهم هلاكا ودمارا، وكل سوء يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم، فالله سبحانه وتعالى قادر، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فله جنود في السماء من الملائكة، وجنود في الأرض من عباده الصالحين، ومن الجن والإنس والشياطين، **{تى تي □ □ □ □ □ □ □ □ □}** [مريم: 83].

أهم النتائج:

1. أظهرت الدراسة التناسق بين اسم السورة وما جاءت به من تسمية صلح الحديبية فتحا، وبيعة الرضوان فتحا، وما تلاها من البشارات بفتح مكة وخيبر، وغيرها من الفتوحات، وبفضل هذه الفتوحات ظهر دين الله تعالى وقويت شوكته.
2. وأظهرت الدراسة أهمية صلح الحديبية، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وبينت أن هذا الصلح هو محور السورة الرئيس.
3. كما أظهرت الدور الفعال للتفسير المقارن في فهم أوسع لمعاني الآيات ومقاصد السور، وإثراء المعنى التفسيري.
4. وأظهرت هذه الدراسة بشكل كبير– من خلال المقارنة، أن الإمام الطبري يركز على التفسير بالمأثور ويذكر الأحاديث بالسند المتصل، وأن سيد قطب يركز على ظلال الآيات وإيحاءاتها، وعلى التفسير بالرأي المحمود.
5. وأظهرت الدراسة أن الإمام الطبري هو باقورة علماء التفسير قديما، في المنهج والأسلوب عموما، بينما سيد قطب فهو في العصر الحديث، وهو باقورة الطريقة الجديدة في تناول النصوص القرآنية.
6. وأظهرت الدراسة بشكل كبير– من خلال المقارنة، أن الإمام الطبري يركز على التفسير بالنقل (بالمأثور)، ويذكر الأحاديث بالسند المتصل، بينما أظهرت أن التفسير عند سيد قطب يعتمد على العقل، والرأي المحمود، وخاصة أنه عاش التجربة بنفسه– أثناء التفسير، فعاشها بقلمه وروحه، فهو يركز على ظلال الآيات وإيحاءاتها الروحانية وأبعادها، فانعكس ذلك على تفسيره، فكانت الآيات لها أبعاد عند سيد قطب لم نجدها عند غيره من المفسرين بهذا الشمول وبهذه الطريقة.
7. وأظهرت الدراسة نجاح سيد قطب في إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، والالتحام المباشر مع نصوصها.

أهم التوصيات:

1. من أهم توصيات الدراسة تعزيز إجراء المزيد من الدراسات في هذا المجال على أن يشمل مفسرين آخرين، وعلى أن تشمل آيات وسور أخرى.
2. أوصي جامعتنا الحبيبة، صرح العلم والعلماء، بأن تبدي عناية أكبر بطلبة علوم القرآن والتفسير، وذلك من خلال إعطاء مساحة أوسع لمساق التفسير المقارن، لما له من أهمية خاصة في فهم مراد الله، وإثراء المعنى التفسيري.
3. أوصي الأمة المسلمة أن تدرس صفات جيل الحديبية وبيعة الرضوان، وأسباب النصر والفتح والتمكين، على أن تكون منهاجا تطبيقيا في حياتنا.

(4) انظر: المرجع السابق، ص 3319.

المراجع:

أولاً: قائمة المراجع العربية:

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، (2001 م)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي الإربلي، (1994)، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة السابعة، بيروت، دار صابر.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، (1984 م)، ***التحرير والتنوير***، (د. ط)، تونس، الدار التونسية للنشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، (1986 م)، ***البداية والنهاية***، (د. ط)، بيروت، دار الفكر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1976 م)، ***السيرة النبوية*** (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (1411 هـ)، ***السيرة النبوية***، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

أبو زيد، وصفي عاشور، (2009 م)، ***في ظلال سيد قطب لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري***، الطبعة الأولى، القاهرة، صوت القلم العربي.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، (1422هـ)، ***صحيح البخاري***، تحقيق: محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (1988 م)، ***دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة***، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، بغداد، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

جماعة من علماء التفسير (1436 هـ)، ***المختصر في تفسير القرآن الكريم***، الطبعة الثالثة، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (1987 م)، ***فنون الأفنان في عيون علوم القرآن***، الطبعة الأولى، بيروت، دار البشائر.

حدمين، مريم بنت حدمين، (2013 م)، ***منهج سيد قطب في تفسيره***، موقع السراج الدعوي، 2013/07/19م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي، (1995 م)، ***معجم الأدباء***، الطبعة الثانية، بيروت، دار صابر.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، (2006 م)، ***معجم البلدان***، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر.

حميدة، نور، (2015 م)، ***المنهج الأدبي عند سيد قطب في كتابه التصوير الفني***، رسالة ماجستير، جاكرتا، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية.

حوي، سعيد، (1424 هـ)، ***الأساس في التفسير***، الطبعة السادسة، القاهرة، دار السلام.

الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، (2012 م)، ***التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق***، الطبعة الثالثة، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع.

الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، (1986 م)، ***في ظلال القرآن دراسة وتقويم***، الطبعة الأولى، جدة، دار المنار.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1981 م)، ***سيد قطب الشهيد الحي***، (د. ط)، عمان، مكتبة الأقصى.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1994 م)، ***سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد***، الطبعة الثانية.، دمشق، دار القلم.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (2000 م)، ***سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهدة والمفكر المفسر الرائد***، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (2000 م)، ***مدخل إلى ظلال القرآن***، الطبعة الثانية، عمان، دار العمار.

الذهبي، الإمام أبي عبد الله شمس الدين، (2009 م)، ***سير أعلام النبلاء***، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، الأردن، بيت الأفكار الدولية – مكتبة دار السلام.

الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين، (1976)، ***التفسير والمفسرون***، (د. ط)، القاهرة، مكتبة وهبة.

الرومي، فهد، (2005 م)، ***دراسات في علوم القرآن***، الطبعة الثانية، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآني.

الريسوني، الشيخ محمد المنتصر، (2011 م)، ***سيد قطب ومنهجه في التفسير***، الطبعة الأولى، مصر، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

الزحيلي، محمد، ***الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء المحدثين صاحب المذهب الجريري***، (1999 م)، الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم.

زرزور، عدنان، (1998 م) ، ***مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه***، الطبعة الثانية. دمشق، دار القلم.

سعود، مريم، (2006 م)، ***البعد التصويري في القرآن الكريم***، سورة يوسف نموذجا، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر.

شرف الدين، جعفر، (1420 هـ)، ***الموسوعة القرآنية، خصائص السور***، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الطبري، الإمام محمد بن جرير، (2010 م)، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد وآخرون، (د. ط)، القاهرة، دار الحديث.

عباس، فضل حسن، (2016 م)، ***التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث***، الطبعة الأولى،، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع.

غنيم، حنان أحمد، (2009 م)، ***التصوير الفني في شعر سيد قطب***، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، (1996 م)، ***بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز***، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثالثة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (1945 م)، ***طفل من القرية***، الطبعة الأولى، جدة، الدار السعودية، ألمانيا، منشورات الجمل.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (2002 م)، ***دراسات إسلامية***، (د. ط)، بيروت، دار الشروق.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (2003 م)، ***في ظلال القرآن***، الطبعة الثانية والثلاثون، القاهرة، دار الشروق.

قطب، سيد، ***التصوير الفني في القرآن الكريم***، (1993 م)، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الشروق.

القيق، وجيه صبح، (2002 م)، ***معالم التغيير التربوي لدى سيد قطب من خلال كتاباته***، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية.

كشميري، د. سيد بشير، (1994 م)، ***عبقري الإسلام سيد قطب***، تقديم: الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفضيلة.

اللوح، ا. د. عبد السلام حمدان، (2022 م)، ***التفسير الهادي للتحليلي والاجمالي***، الطبعة الأولى، غزة، فلسطين، مكتبة آفاق للطباعة والنشر والتوزيع.

المزيني، خالد بن سليمان، (2006 م)، ***المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب الستة***، دراسة الأسباب رواية ودراية، الطبعة الأولى، الدمام، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (2010 م)، ***صحيح مسلم***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (2008 م)، ***تهذيب الأسماء واللغات***، (د. ط)، القاهرة، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة دار الطباعة المنيرية.

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية والمرومنة:

Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad, (2001 AD), ***Musnad Imam Ahmad bin Hanbal,*** (In Arabic), verified by: Shu'ayb Al-Arna'ut, Adel Murshid and others, supervised by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, first edition, Beirut, Dar Al-Risalah.

Ibn Khalikan, Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmad bin Muhammad bin Khallikan Al-Barmaki Al-Erbili, (1994), ***Wafayt Al-A'yan Wa Anba' Abnaa Al-Zaman***, (In Arabic), verified by: Ihsan Abbas, seventh edition, Beirut, Dar Sa'aber.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Ashour Al-Tunisi, (1984 AD), ***Al-Tasheel wa Al-Tanweer***, (In Arabic), (No ed.), Tunisia, Dar Al-Tunisia Linashr.

Ibn Kathir, Abu Al-Fadaa' Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Basri, (1986 AD), ***Al-Bidayah wa Al-Nihayah,*** (In Arabic), (No ed.), Beirut, Dar Al-Fikr.

Ibn Kathir, Abu Al-Fadaa' Ismail bin Omar, (1976 AD), ***Al-Seerah Al-Nabawiyyah (min Al-Bidayah wa Al-Nihayah li Ibn Kathir)***, (In Arabic), verified by: Mustafa Abdul Wahid, (No ed.), Beirut, Dar Al-Ma'arifa li Al-Tiba'ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzi'.

Ibn Hisham, Abdul Malik bin Hisham bin Ayub Al-Hamiri, (1411 AH), ***Al-Seerah Al-Nabawiyyah***, (In Arabic), verified by: Taha Abdul Rauf Saad, first edition, Beirut, Dar Al-Jiil.

Abu Zaid, Wasfi Ashour, (2009 AD), ***Fi Zilal Sayyid Qutb, glimpses of his life, works, and interpretive methodology***, (In Arabic), first edition, Cairo, Sawt Al-Qalam Al-Arabi.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari, (1422 AH), ***Sahih Al-Bukhari,*** (In Arabic), verified by: Muhammad Zuhair Al-Nasser, first edition, Beirut, Dar Tawq Al-Nafaa. (Illustrated about Sultania with the addition of pagination by Mohamed Fouad Abdel-Baqi.)

Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn Al-Husayn Al-Bayhaqi, (1988 AD), ***"Signs of Prophethood and Knowledge of the Condition of the Legislator,"*** (In Arabic), verified by Dr. Abdul-Muti Qulaiji, First Edition, Baghdad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Dar Al-Rayan for Heritage.

Qutb, Sayyid, (1993 AD), ***"Artistic Imagery in the Qur'an,"*** (In Arabic), Third Edition, Cairo, Dar Al-Shorouk.

Group of Qur'anic Scholars, (1436 AH), ***"Summary in Qur'anic Interpretation***," (In Arabic), Third Edition, Riyadh, Tafsir Center for Qur'anic Studies.

Al-Jawziyya, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman, (1987 AD), "***Arts of Elocution in the Eyes of Qur'anic Sciences***, (In Arabic), " First Edition, Beirut, Dar Al-Basha'ir.

Hadmin, Maryam bint Hadmin, (2013 AD), "***The Method of Sayyid Qutb in His Interpretation,"*** (In Arabic), Al-Saraj Al-Da'awi Website, 19 July 2013.

Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Ya'qub Al-Rumi, (1995 AD), ***"Dictionary of Authors,"*** (In Arabic), Second Edition, Beirut, Dar Saber.

Al-Hamawi, Ya'qub ibn Abdullah Al-Hamawi Abu Abdullah, (2006 AD), ***"Dictionary of Countries***," (In Arabic), Second Edition, Beirut, Dar Al-Fikr.

Hamida, Noor, (2015 AD), "***Literary Approach in Sayyid Qutb's Book 'Artistic Imagery'***," (In Arabic), Master's Thesis, Jakarta, Sherif Hidayatullah State Islamic University.

Hawi, Said, (1424 AH), "***Foundations of Interpretation***," (In Arabic), Sixth Edition, Cairo, Dar Al-Salam.

Al-Khaldi, Dr. Salah Abdul Fattah, (2012 AD), "***Thematic Interpretation Between Theory and Application,***" (In Arabic), Third Edition, Amman, Dar Al-Nafais for Publishing and Distribution.

Al-Khaldi, Dr. Salah Abdul Fattah, (1986 AD), ***"In the Shadows of the Qur'an: Study and Evaluation,"*** (In Arabic), First Edition, Jeddah, Dar Al-Manar.

Al-Khaldi, Salah Abdul Fattah, (1981 AD), ***"Sayyid Qutb: The Living Martyr***," (In Arabic), Jeddah, Al-Aqsa Library.

Al-Khaldi, Salah Abdul Fattah, (1994 AD), "***Sayyid Qutb: From Birth to Martyrdom***," (In Arabic), Second Edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

Al-Khaldi, Salah Abdul Fattah, (2000 AD), "**Sayyid Qutb: The Literary Critic, the Jihadist Preacher, the Leading Thinker and Exegete**," (In Arabic), First Edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

Al-Khaldi, Salah Abdul Fattah, (2000 AD), "***Introduction to the Shadows of the Qur'an***," (In Arabic), Second Edition, Amman, Dar Al-Amara.

Al-Dhahabi, Imam Abu Abdullah Shams Al-Din, (2009 AD), "***Biographies of the Noble Figures***," (In Arabic), Third Edition, Jordan, Beit Al-Afkar International – Dar Al-Salam Library.

Al-Dhahabi, Dr. Muhammad Al-Sayyid Hussein, (1976 AD), "***Interpretation and Interpreters***," (In Arabic), Cairo, Wahba Library.

Al-Rumi, Fahd, (2005 AD), ***"Studies in Qur'anic Sciences,"*** (In Arabic), Second Edition, Riyadh, Tafsir Center for Qur'anic Studies.

Al-Raisouni, Sheikh Muhammad Al-Muntasir, (2011 AD), ***"Sayyid Qutb and His Approach to Interpretation***," (In Arabic), First Edition, Egypt, Dar Al-Kalimah for Publishing and Distribution.

Al-Zuhayli, Muhammad, (1999 AD), ***"Al-Imam Al-Tabari: Chief Exegete, Historian, and Preeminent Jurist of the Jariri School,"*** (In Arabic), Second Edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

Zarzour, Adnan, (1998 AD), ***"Introduction to Qur'anic Interpretation and Its Sciences***," (In Arabic), Second Edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

Saud, Maryam, (2006 AD), ***"Artistic Imagery in the Qur'an: Surah Yusuf as a Model,"*** (In Arabic), Master's Thesis, Algeria, University of Algiers.

Sharaf Al-Din, Ja'far, (1420 AH), ***"Qur'anic Encyclopedia: Characteristics of the Chapters***," (In Arabic), verified by Abdul Aziz ibn Uthman Al-Tuwayjiri, First Edition, Beirut, Dar Al-Taqrib Between Islamic Sects.

Al-Tabari, Imam Muhammad ibn Jarir, (2010 AD), ***"The Compilation of Interpretation of the Qur'an,"*** (In Arabic), verified by Islam Mansour Abd Al-Hamid and others, Cairo, Dar Al-Hadith.

Abbas, Fadl Hassan, (2016 AD), ***"Interpretation and Exegetes: Fundamentals, Trends, and Methods in the Modern Era,"*** (In Arabic), First Edition, Amman, Dar Al-Nafais for Publishing and Distribution.

Ghunaim, Hanan Ahmed, (2009 AD), ***"Artistic Imagery in the Poetry of Sayyid Qutb***," (In Arabic), Master's Thesis, Gaza, Islamic University.

Al-Fayruzabadi, Majd Al-Din Abu Tahir, (1996 AD), ***"Clear Differentiations in the Subtleties of the Honorable Book,"*** (In Arabic), verified by Muhammad Ali Al-Najjar, Third Edition, Cairo, Supreme Council for Islamic Affairs.

Qutb, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharabi, (1945 AD), ***"Child from the Village***," (In Arabic), First Edition, Jeddah, Saudi Publications, Germany, Manar Publications.

Qutb, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharabi, (2002 AD), ***"Islamic Studies,"*** (In Arabic), Beirut, Dar Al-Shorouk.

Qutb, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharabi, (2003 AD), ***"In the Shade of the Qur'an,"*** (In Arabic), Thirty-Second Edition, Cairo, Dar Al-Shorouk.

Al-Qaqa, Wajih Subh, (2002 AD), ***"Educational Changes in the Thought of Sayyid Qutb through His Writings***," (In Arabic), Master's Thesis, Gaza, Islamic University.

Kashmiri, Dr. Sayyid Bashir, (1994 AD), ***"The Genius of Islam: Sayyid Qutb,"*** (In Arabic), Introduction by Dr. Abdul Sabur Shahin, First Edition, Cairo, Dar Al-Fadilah.

Al-Luh, Dr. Abdul Salam Hamdan, (2022 AD), ***"Guiding Interpretation: Analytical and General,"*** (In Arabic), First Edition, Gaza, Palestine, Afaq Library for Printing, Publishing, and Distribution.

Al-Muzayini, Khalid bin Sulaiman, (2006 AD), ***"The Editor in the Causes of Qur'anic Revelation Through the Six Books***," (In Arabic), First Edition, Dammam, Ibn Al-Jawzi House.

Muslim, Muslim ibn Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Nisaburi, (2010 AD), ***"Sahih Muslim,"*** (In Arabic), verified by Muhammad Fuad Abd Al-Baqi, Beirut, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Al-Nawawi, Abu Zakaria Yahya ibn Sharaf, (2008 AD), ***"Tahdhib Al-Asma' wa Al-Lughat,"*** (In Arabic), Cairo, Dar Al-Hadith.